الفكر السياسي عند جمال الدين الأفغاني (1838–1897م)

يُعدّ جمال الدين الأفغاني أحد أبرز أركان النهضة الإسلامية الحديثة ورائد الإصلاح السياسي والفكر التجديدي في العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر. صاغ الأفغاني رؤية سياسية إحيائية تحررية هدفت إلى انتشال الأمة الإسلامية من حالة الاستبداد الداخلي والتراجع الحضاري، ومواجهة الهيمنة والاستعمار الغربي.

أولاً: الجامعة الإسلامية (الوحدة السياسية)

تُعتبر فكرة **"الجامعة الإسلامية"** الحجر الزاوية في المشروعات والسياسات التي دعا إليها الأفغاني:

- **مفهوم الجامعة الإسلامية:** لم تكن دعوته مجرد حنين للماضي، بل كانت استراتيجية جيوسياسية لجمع شتات الشعوب الإسلامية تحت مظلة واحدة لمواجهة التوسع الاستعماري الأوروبي (خاصة البريطاني).
- **التضامن والأخوة:** رأى أن الرابطة الدينية والإسلامية أعلى وأقوى من الروابط القومية أو العرقية والإقليمية، وأن ضعف المسلمين وتفرقهم هو السبب الرئيسي في سلب إرادتهم وسهولة استعمارهم.
- **التعاون التقاربي:** دعا إلى إنشاء هيئة أو تحالف بين الدول والحكام المسلمين، يُحافظ فيه كل إقليم على خصوصيته الإدارية، مع وجود قيادة مركزية أو تضامن سياسي وعسكري يضم الجميع.

ثانياً: مناهضة الاستعمار والإمبريالية الغربية

عاش الأفغاني في حقبة شهدت ذروة التمدد الاستعماري في الشرق، فكرس حياته للتحذير من هذا الخطر:

- **مقاومة النفوذ الأجنبي:** صبّ الأفغاني جام غضبه على السيطرة الاستعمارية، لا سيما البريطانية في الهند ومصر والخليج، واعتبر بريطانيا العدو الأكبر للأمة الإسلامية.
- **إيقاظ الوعي القومي والوطني:** حرص على بث روح الجهاد والمقاومة في الشعوب التي زارها (مثل مصر، إيران، الدولة العثمانية، والهند)، وحث الشعوب الاستعمارية على استرداد سيادتها واستقلالها السياسي والاقتصادي.
- **الاستقلال الثقافي:** نبه إلى أن الاستعمار لا يكتفي بالسيطرة العسكرية، بل يسعى لتدمير الهوية الثقافية والدينية للشعوب المقهورة.

ثالثاً: نقد الاستبداد والمطالبة بالحكم الدستوري والشورى

لم يقتصر نقد الأفغاني على الخطر الخارجي، بل وجه نقداً للداخل الإسلامي ومؤسسات الحكم الاستبدادية:

- **الشورى كبديل للاستبداد:** اعتبر الاستبداد المالي والسياسي للحكام المسلمين سبباً مباشراً لسقوط الأمة. ودعا إلى إحياء مبدأ الشورى الإسلامي وتجسيده في أنظمة حكم دستورية نيابية حديثة.
- **المطالبة بالدستور والبرلمان:** شجع الحركة الدستورية في مصر وإيران والدولة العثمانية، ودعا إلى تقييد سلطة السلاطين والملوك عبر مجالس نواب (برلمانات) ومواثيق دستورية تُقر مبدأ سيادة القانون.
- **الحرية والعدالة:** رأى أن الحرية الفردية والسياسية شرط أساسي للنهضة، وأن العدالة هي التعبير العملي عن الشريعة الإسلامية في إدارة الحكم.

رابعاً: الإصلاح الديني وتفعيل العقل وإصلاح الفكر

كان الأفغاني يرى أن الإصلاح السياسي لا يمكن أن يتحقق بدون إصلاح ديني وفكري شامل:

- **محاربة الجمود والتقليد:** هاجم حالة الخمول والجمود الفكري التي سادت بين علماء الدين والمؤسسات التقليدية، ودعا إلى فتح باب الاجتهاد لتلبية متطلبات العصر.
- **التوفيق بين الدين والعلم:** أكد أنه لا تعارض بين الإسلام والعلم الحديث، بل إن الإسلام يحث على التفكير، والعلية، والأخذ بأسباب التطور والتكنولوجيا للنهوض بالدولة.
- **نقد نِحل الإلحاد والدهرية:** كتب كتابه الشهير "الرد على الدهريين" لمواجهة الاتجاهات المادية والإلحادية التي رأى أنها تضعف الرابط الديني والأخلاقي للمجتمع.

خامساً: الرأي العام، الصحافة، وحركة الشباب

كان الأفغاني رجل حراك وتغيير ميداني وليس مجرد مفكر تنظيري في أبراج عاجية:

- **دور الصحافة والكلمة:** أسس مع تلميذه محمد عبده جريدة "العروة الوثقى" في باريس، لتكون منبراً سياسياً يوقظ الشعوب، ينقد الاستعمار، ويحث على التضامن والحرية.
- **تربية النخب والشباب:** اعتمد على تشكيل حلقات فكرية وسياسية للشباب والنخب الثقافية (كما فعل في مصر مع محمد عبده، محمود سامي البارودي)، مشدداً على دور الرأي العام ووعي الجماهير في فرض الإصلاح السيادي.

خلاصة الفلسفة السياسية عند الأفغاني

المحور السياسي	المضمون والهدف
الجامعة الإسلامية	توحيد الصف الإسلامي لمواجهة التمدد الاستعماري الأجنبي.
مناهضة الاستعمار	تحرير الأوطان، رفض الهيمنة الغربية، واسترداد الاستقلال والسيادة.
الشورى والدستور	محاربة الاستبداد الداخلي، وإقامة حكم نيابي مشروط بالدستور والقانون.
الإصلاح والاجتهاد	محاربة الجمود الفكري، إعمال العقل، والتوفيق بين الدين والعلم الحديث.

تأثيره الفكري والتاريخي: *شكّلت أفكار جمال الدين الأفغاني الشرارة الأولى لحركات الإصلاح والنهضة في العالم الإسلامي خلال القرن*